متفق عليه فان تذكر مكانه والا فخذه من هنا والله الموفق وفيه
دليل على المسألة التي نحن في ذيلها لان منع الزنا كان لغيرة الله لا لينتفع
الممنوع فان قوله ان يزني عبده او تزني امته يستقل بحسن المنع بحسب
ظاهره والمعتزلة يقولون ليس له ان يبلغهم غيرته ويلزمهم ترك
الزنى الا مع التزام نفع وهذا كلام في جزئي والا فالواجبات
والمحرمات كلها هكذا لكن طعننا ان منهم المتصف غرض الحديث فيفاد
له واما مع اللجاج فموضع الكلام كل التكاليف وان ابلاغ الحقائق
والزام مقتضاها بمجرده حسن وباعث على الفعل وكان الانسان اكثر
شيء جدلا **نعم** فيقبح من هذا العبد الذي هو كله حاجة اليه
وافتقار مخالفته ويتحتم عليه الاقبال عليه ويلقى ما كان من جهته
بالقبول فاذا جاء عبد يدعي زيادة اختصاص بالرب تعالى وانه قد جعله
واسطة بينه وبين سائر العبيد كان اسرع شيء الى تعرف حاله
ثم قبول ما جاء به بعد صحة دعواه ويكون التراخي عن ذلك مخالفة للرب
المنعم وجحد النعمة وكفرانها **واعلم** انك اذا تأملت معنى
العبادة فانما هي اعتراف بما هو حق والاعتراف بالحق واجب من دون
نظر الى شيء اصلا مثل كلمة التوحيد والتسبيح والتحميد وسائر ما
هو من قبيل الاقوال اعتراف محض لولا انها واخبار عن الشهادة بذلك
ومع ذلك هو يتضمن الرفع من شان المتصف محض لولا ان هذه الالفاظ
وهو معنى الحمد واذا لحظ في خلال هذا الاعتراف وتأكد انبعاثه
عليه بكونه غريق نعم الله واسير الاحتياج اليه كان شكرا اذ هو اعتراف
اليه تعالى ومعنى هذه الثلاثة متضمن لمعنى الاعتراف بما هو حق
اعني معانيها وهذا في الاقوال ولما كان شان الله اعظم من ان تقتصر
على دون ممكن من تادية حقه وكان نعمه عامة لجميع العبيد اصلا
ومرادا وجب ان يقترن هذا الاعتراف المعنوي بشيء مما هو حظ سائر
الجوارح فكانت الصلاة والحج والصيام فالصلاة والحج غاية الضراعة
والاعتراف ان شان العبدان يكون مع العظيم المنعم هكذا ولما كان
شان النفس اتباع الهوى وهو نقيض الهدى كانت كالمنازعة

فشرع

فشرع حبسها للصيام ولم يكتف بالاعتراف القولي لانه ينبغي مخالفتها
وكذلك سائر الشرائع تدرج على هذا وكل شيء معناه ينبغي ان
يكون الامر هكذا فهو كله متضمن للاعتراف بالحق وكان له
لازم ينافي هو غاية التذلل والضراعة فغلب معناه حتى سميت
عبادة اذا تأملت هذا فمعناه الاعتراف بما ينبغي بالقول والفعل
ولما لم يجعل العقل محيطا بالتفاصيل جعلها علام الغيوب متصلة على
السنة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فكيف يقال لما ينبغي
ان يكون لا ينبغي ولما كان الرب تعالى في غاية القدرة والكرم وسائر
صفات الكمال والفضل وللعبد كله فقر وحاجة اقتضى المقام ان
يتابع الكريم الرحيم نعمه على هذا الضعيف المسكين بعد بذل جهده
ومخالفة المقام لا تليق بجانب الكرم والحكمة فلذا رتب الجزاء على
الاعمال لان لها دخلا في اقتضاء المقام للثواب فالثواب امر لا بد منه
نظرا الى المقام غير انه لا جهد له لوجوبه وحتمه في نفسه وهذا هو
معنى قول البغدادية وجوب كرم وجود ونعم ما قالوا ولا تخرجه ذلك
عن كونه تفضلا فهو جزاء ما كانوا يعملون وهو بفضل الله ورحمته
لان عملهم احد مقتضيات المقام وكون الله تعالى بتلك الصفات
العلية احد المقتضيات فاذا اجتمعت ترتب عليها الثواب ولما اختل
احد المقتضيات وهو العمل في العاصي المسلم بقي الفضل وكان
مخالفته لما ينبغي في نفس الامر وتساهله في رعاية جانب الحق تعالى
مسوغة لمعاملته بجزاء السيئة بالسيئة فكانت المشيئة اهلا للتعذيب
ولم ينسد عنه باب الفضل لانه قد جاء بالاعتراف بالحق وهو ملاك الامر
ولما افرط الكافر باطراح جانب الحق ومناقضته في الاعمال اقتضى
المقام رفع جانب الحق ومعاملة هذا بمثل عمله وعمله سيئة محضة
فخلد في النار فاقتضت الحكمة الفرقان بين الثلاثة ام نجعل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار
والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

الفرع الثاني اذا كانت العبادة وجها مستقلا لخلق الخلق وتكليفهم

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)